من المواقع الاثرية في كردستان

گرده چال

زبير بلال اسماعيل

يقع سهل اربيل بين الزاب الاعلى والاسفل، وهو سهل غني خصب اشتهر في جميع عصور ما قبل التاريخ بخصبه ووفرة مياه الامطار فيه فازدهر في محاصيله الزراعية الامر الذي جعل المئات من الاطلال الاثرية تنتشر فيه، وهي تدل دلالة واضحة على كثافة سكانه واتساع المستوطنات فيه، ومع انه لم تجر لحال التاريخ تحريات اثرية كثيرة في هذه المستوطنات، بيد ان الفحوص السطحية ودرس الملتقطات السطحية على هذه التلول تشير الى إمتداد الاستيطان البشري في هذا السهل الى عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية المختلفة[1].

وهناك مئات من المواقع جديرة بالفحص والتنقيب والدراسة في السهل، ولكن التنقيب العلمي لم يجر الا في مواقع محدودة؛ ثلاثة منها في كنديناوة وقراج مثل (كاوله كندال) و (تل ابراهيم بايز = مخمور القديمة) و (تل اكرح- الى الجنوب الغربي من مخمور). وموقع واحد في مركز اربيل وهو موقع (تل قاليج أغا- قرب ملعب الادارة المحلية). وجرت تنقيبات اولية في مساحة محدودة تحيط بالمنارة المظفرية، وتنقيبات استكشافية في موقع (كاكزو- سعداوة) و (گرده چال).

لقد أطلق سكان سهل اربيل اسماء محلية على اجزاء السهل، مثل (شمامك) وكنديناوة وقراج، وهي اجزاء مهمة من السهل تقع الى الشمال الغربي والجنوب الغربي. وأطلق على الجزء الشمالي الشرقي من سهل اربيل اسم (بەڕانی) وهو كلمة كردية مشتقة من لفظة (ڕان) ومعناها قطيع الغنم و (بەڕانی) تعنى الغني او الثري بأغنامه. ويسمون ذلك الجزء من السهل ايضا (بەڕاينا) بصيغة الجمع ويقولون ايضا (بەڕانيەتي) مثلما يقولون (خوشناوەتي) وما اشبه. ويبدو ان ما يزيد من الثروة الحيوانية لـ (بەڕاني) هو: ان قبيلة كردية من كبريات قبائل الاكراد وهي (الهركي) تتخذ من المنطقة مشتى لها بعد انحدارها من مصائفها الجبلية، وسهل (بەڕاني) غني بمواقعه الاثرية. وقد نال موقع من تلك المواقع عناية من لدن بعثة اثرية اجنبية سنأتي على تفاصيل عملها في هذا البحث.

مواقع اثرية في بەڕاني:

تتفرع من مركز مدينة اربيل عدة طرق فرعية ترابية الى قرى بەڕاني، التي تربطها ايضا طرق ترابية اخري تنتهي بطريق اربيل- الموصل المعبد وبطريق اربيل- شقلاوة المعبد ايضا. وتقع قرية عينكاوة في نقطة مهمة اذ تتفرع منها اكثر من طريق الى القرى المذكورة. ونبدأ بقرية عينكاوة (وهي قرية عصرية اشبه ببليدة، وهي مركز ناحية اربيل). ففي عقار قرية عينكاوة المواقع الاثرية الآتية:

1 - قصر (مقبرة عينكاوة): وهو تل اثري يقع في مركز القرية.

واعلن عن اثريته سنة 1945، ويعود بزمنه الى عصر الامبراطورية الآشورية (911-612 ق. م) وفي الستينات شقت شوارع فرعية في عينكاوة، وقد قطع أحد تلك الشوارع التل الاثري فكشف عن جدران أبنية من الآجر الخاص بالعهد الآشوري الحديث.

2 ـ **گرد يلدا (تل)**: ويقع في عقار القرية. واعلن عنه في السنة المذكورة، ويرجع تاريخه إلى عهد نشوء المملكة الآشورية (1600—911 ق. م)، وهناك ما يدل على استمرار الموقع الى عهد الامبراطورية الحديثة.

3 ـ **گرد مسينا**: ويعود الى العهد الكلداني (البابلي الحديث (625-539 ق. م).

4 ـ **مارعودة (تل)**: ويعود تاريخه الى الفترة بين 226-636 م[7].

وهناك طريق ترابي يقع الى شرقي طريق اربيل ـ عينكاوة المعبد، ويوازيه، وهذا الطريق يسمى بطريق (بحركة). وفي هذا الطريق وبالقرب منه اكثر من موقع اثري.

1 ـ **گرد جوتيار**: وهو تل أثري يقع في قرية گردجوتيار، وكشف في سنة 1945 ويعود التل الى عهد نشوء المملكة الآشورية. وفيه ما يدل على استيطان في عهد الامبراطورية الآشورية.

2 ـ **ملا جرك**: ويقع في قرية بحركة . اكتشف في سنة 1946، وقد استوطن التل في اكثر من عصر؛ فقد استوطن في العصر الحجري المعدني[8] (عصر سامراء حلف 5000-4500 ق.م) وفيه ما يدل على انه كان مأهولا في عصر جمدة نصر (3200-3000 ق.م) وعصر فجر السلالات (3000-2400 ق. م)، ثم استوطن في العهد الاسلامي[9].

3 ـ **قلات كه**: وهو تل او گرد يقع في قرية (قله مور تكه) الواقعة على ضفة باستورة الجنوبية. اكتشف في سنة 1946. ويعود الى عصر الامبراطورية الآشورية.

وبعد عبور نهر باستورة يمكن الوصول الى قرية (خالوان) التي كانت تتبع ناحية حرير في قضاء شقلاوة سابقا، وفيها موقعان مهمان وهما:

1 ـ شيخ اوسو: وقد اعلن عنه سنة 1951 ولم يتعين زمنه.

2 ـ العقيق (خربة قرية). اعلن عنه في السنة المذكورة اعلاه، ويعود الى عصر الامبراطورية الآشورية.

وبعد مسافة باتجاه الشمال الشرقي نصل الى قرية (رشوان): وفيها موقع أثري يسمى (قلعة) وأعلن عنها في سنة 1951. وتعود القلعة المذكورة الى عصر الامبراطورية الآشورية. وفيها ما يدل على آثار سكن بين 226-636 م.[5]

ومن قرية عينكاوة طريق ترابي يتجه شمالا الى قرية (گزنه)، وفيها مزار مشهور يقصده الناس. ويتفرع من گزنة طريقان ترابيان يتجهان الى الشمال الشرقي فيصلان الى الزاب الاعلى وفي قرية گزنة: تل اوگرد يسمى باسم القرية. كشف عنه في سنة 1945، ويعود تاريخه الى عصر الامبراطورية الآشورية. ومن قرية گزنه يمكن الوصول الى المواقع الآتية:

1 ـ **قوج**: ويقع في قرية (أشوكان). ويسمي الناس الموقع بـ (خرابه)، ويعود الى العصر الاسلامي (بعد سنة 636 م).

2 ـ **گرده‌زه‌رد**: نصل بعد ذلك الى قرية گرده زه‌رد وفيها تل يعرف بنفس اسم القرية اكتشف في سنة 1946، ويعود الى عصر الامبراطورية الآشورية.

3 ـ **گرده چال**: وهو موقع أثري هام يقع في القرية التي سميت باسمه أي گرده چال.

وهناك قرية ثالثة تعرف بـ گرده‌پان (اي التل المسطح) قريبة من گرده‌چال.

ويستمر الطريق فيمر بقرى اخرى مثل (قه‌فر) و (سه‌ركه‌ور) و (كه‌وره‌سور) حتى يصل الى الزاب الاعلى.

ومن قرية گزنة ايضا يتفرع الطريق الترابي الثاني فيمر بعدة قرى منها: (داره‌به‌ن) و (سيدان) و (به‌رحوشتر) و (گرد مامك) و (إفراز) الواقع على الزاب الاعلى وفي بعض تلك القرى المواقع الآتية:

1 ـ **سيدان**: ويسميه الناس (خرابه) وتقع في قرية سيدان. واكتشف في سنة 1946 وتعود الخربة الى العصر الاسلامي.

2 ـ **وسطه عرب**: خربة تقع في قرية (به‌رحوشتر). اكتشفت في سنة 1946، وهذه الخربة موقع مهم يعود بزمنه الى عصر حسونة (5200-5000 ق. م) من العصر الحجري المعدني. وظل الموقع مأهولا في العصر التالي (عصر سامراء ـ حلف). وهناك ما يدل على استيطان في عصر جمدة نصر وفجر السلالات وعصر الامبراطورية الآشورية.[6]

3 ـ **گرد مامك**: (تل) ويقع في قرية گردمامك التي سميت باسم الموقع. اكتشف في سنة 1951. ويعود الى عهد نشوء المملكة

الآشورية. وفيه ما يدل على استيطان في عصر الامبراطورية الآشورية. واستوطن التل مرة ثالثة في العهد السلوقي (312-248 ق. م) ثم استمرت فيه السكنى حتى الفترة الواقعة بين (226-636 م). وكانت قرية گردمامك تابعة الى ناحية حرير في قضاء شقلاوة سابقا.[7]

4 ـ **إفراز**: (خربة) تقع في قرية (إفراز) وهي قرية مشهورة تقع على الزاب الاعلى، وعندها بداية القناة التي توصل ماء الزاب الاعلى الى مركز اربيل، واكتشفت هذه الخربة في سنة 1951وتعود الى العصر الاسلامي.

الى الشمال من عينكاوة طريق ترابي يتجه شمالا الى الزاب. ويقع بجوار هذا الطريق وعلى امتداده عدة قرى منها: (قه‌لان چوغان) و (خرابه دراو) و (گاينچ) و (شيوه‌ره‌ش) و (آغولان) و (كه‌ورگوسك) التي تقع على الزاب الاعلى. وفي اغلب تلك المذكورة مواقع اثرية مهمة. وهذه المواقع ابتداءً من مفرق عينكاوة حتى الزاب هي:

1 ـ **قه‌لان چوغان**: في عقار هذه القرية ثلاثة مواقع اثرية وهي:

أ ـ گرد مسينا (تل): واكتشف سنة 1945 . ويعود اقدم استيطان فيه الى عصر الوركاء ((3800-3200 ق.م). واستوطن ايضا في العصور التالية ايضا وهي جمدة نصر وعصر فجر السلالات.

ب ـ شيخ قصري (تل): ويدل على انه استوطن في عصر جمدة نصر وفجر السلالات، وفي عهد الامبراطورية الآشورية.

جـ ـ الشيخ احمد (تل): واكتشف ايضا في 1945. ويعود الى عصر الامبراطورية الآشورية.

2 ـ **خرابه دراو**: ومعناها بالكردية: خربة النقود، ويقع الى الشمال من قرية قه‌لان چوغان. وفي هذه القرية وبقربها المواقع الاثرية الآتية:

آ ـ خرابة خليل، اكتشفت في سنة 1946. وتعود الى العصر الاسلامي (بعد سنة 636 م).

ب ـ درويش عبدالله: (مقبرة): اعلن عنها في سنة 1965. ولم يعرف بعد تاريخها.

جـ ـ گرد قادر أغا (تل): اكتشف سنة 1946. وظهر ان التل استوطن في اكثر من عهد. فقد استوطن في عصر جمدة نصر وعصر فجر السلالات، وعصر الامبراطورية الآشورية، والعصر الاسلامي.

وعند قرية گاينچ يتفرع الطريق إلى ثلاث قرى هي:

1 ـ **آغولان**: وهي قريبة من الزاب. وفي القرية تل (گرد) أثري. اكتشف في 1946ويعود بزمنه الى العصر الاسلامي ويسمى بـ گرد آغولان.

2 ـ **كه‌ورگوسك**: وهي تقع على الزاب الى الشرق من آغولان، وفيها خرابة كه‌ورگوسك. اعلن عنها في سنة 1946. ويعود زمن الخرابة الى عصر الامبراطورية الآشورية.

3 ـ **شيوه‌ره‌ش**: وتقع الى الشرق من كه‌ورگوسك، قريبة من الزاب الاعلى. وفي هذه القرية كهف يسمى بـ (أشكفت عدو)، اكتشف سنة 1951، ولم يتعين زمنه.

4 ـ **شاخولان**: قرية تقع الى الشرق من شيوه‌ره‌ش، وفيها موقع يسمى (كاوله شاخولان. اكتشف سنة 1951. ويعود بزمنه الى العصر الاسلامي[8].

ـ **قلعة گاه**: والى الغرب من عينكاوة يبتدىء طريق ترابي يتجه شمالا فيمر بقرية (زرگه‌باد) وقرية سيبيران الكبير وسيبيران الصغير ثم نصل الى قرية (قه‌لاتكه) وفيها موقع أثري يسمى (قلعة گاه) وهو خرابة. أعلن عنها في سنة 1945، ويعود بزمنه الى الفترة بين 226-636م.

ـ **گرده‌شير**:

يتجه الطريق السابق شمالا فيصل الى قرية اسماعيل آوا، والى الشمال الشرقي منها يقع تل أثري يسمى (گرده‌شير) ويلاحظ ان القرية سميت باسمه. اكتشف الموقع في سنة 1946 ويعود الى العصر الاسلامي.

إمام طه (خرابة) :

يستمر الطريق بعد ذلك فيمر بقرية طوبزاوة وفيها موقع أثري يعرف باسم (امام طه) وهو خرابة، وقد اعلن عنها في سنة 1945، ويرجع زمنها الى عصر الامبراطورية الآشورية.

ـ **گرده‌ره‌شه**:

ونصل بعد ذلك الى قرية گرده‌ره‌شه زاب، وقد سميت القرية باسم الموقع الاثري الذي يعود الى عصر الامبراطورية الآشورية.

وفي بداية طريق اربيل ـ الموصل المعبد القديم تقع قرية (ره‌شكين) وفي القرية وعقارها المواقع الاثرية الآتية:

1 ـ **ره‌شكين**: وهو تل أثري يقع في القرية المذكورة، اعلن عنه في

سنة 1945 ويرتقي عهده الى عصر الامبراطورية الآشورية.

2 ـ **حلواجي**: وهو خرابة. اعلن عنها في سنة ١٩٤٥ ايضا، ويعود الى العصر الاسلامي.

3 ـ **شيخ طه**: وهو خرابة ايضا. تعود الى الفترة بين 226-636 م.

وبعد بضعة كيلومترات نصل الى قرية جالوك كبير، وكانت تقع على الطريق العام المعبد القديم بين اربيل والموصل، وقد انحرف الطريق المعبد الحالي الى الشرق منها. وفي القرية.

ـ **خربة جالوك**: يرتقي زمنها الى عصر الامبراطورية الآشورية. والى الشمال من قرية جالوك الكبير تقع قرية جالوك الصغير وفيها موقع يسمى:

ـ **جالوك الصغير**: وهو خرابة. اعلن عنها في سنة 1946. وتعود ايضا الى عصر الامبراطورية الآشورية.

ونذكر اخيرا: انه بالقرب من الطريق المعبد الحالي بين اربيل وشقلاوة وقبل الوصول الى نهر باستورة وجدت بعض المواقع الأثرية ومنها:

1 ـ **شاه ويس**: وهي قرية في اول الطريق العام والى الشرق منه، وفيها مقبرة (قبرستان). اعلن عنها في سنة 1946 ويرتقي زمنها الى العصر الحجري المعدني (سامراء ـ حلف ـ 5000-4500 ق. م) واستوطن الموقع في العصر الاسلامي ايضا.

2 ـ **پيرزين**: وهي قرية تقع الى الغرب من الطريق العام على بعد مسافة يسيرة من القرية الاولى. وفيها خرابة، اعلن عنها في 1946، ويرتقي عهدها الى عصر الامبراطورية الآشورية[8].

گرده چال

يرجع البحث العلمي عن آثار العصور الحجرية في شمال العراق الى حدود سنة 1920 م حين قامت بعثة مشتركة من مؤسسة المدارس الامريكية لابحاث ما قبل التاريخ ومن جمعية بيرسى سلادن برئاسة المس دورتي كارود (اصبحت فيما بعد استاذة الانثروبولوجية في جامعة اوكسفورد) بالتنقيب في كهفي زرزي (يقع في غرب سورداش على بعد ٥٠ كم في شمال غربي السليمانية) وهزار ميرد (على بعد ثمانية كيلومترات من جنوب غربي السليمانية). ثم اوفد المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بالاشتراك مع مؤسسة المدارس الامريكية للبحوث الشرقية البروفسور (روبرت بريدوود) وجماعته من العلماء المختصين بدراسة العصور الحجرية في شمال العراق، فاشتغلوا في منطقة چچمال ثلاثة مواسم (عام 1954,1951,1948)، واوفد المعهد الشمشوني في واشنطن الاستاذ رالف سوليكي الى العراق فترأس تحريات قام بها المعهد المذكور بالاشتراك مع مديرية الآثار العراقية في كهف شانيدر بأربيل فجرى التنقيب خلال موسمين (عام 1953,1951)[9].

وفي حفريات البعثة الامريكية المشتركة بين المعهد الشرقي ودائرة الانثروبولوجية التابعتين لجامعة شيكاغو بالاشتراك مع مؤسسة بالاشتراك مع مؤسسة المدارس الامريكية للبحوث الشرقية برئاسة البروفسور روبرت بريدوود لسنة 1954 كشف عن بيخال. وجد فيه (بروس هاو) على سطحه بعض الفخار وتحت ذلك على صوان متنوع من صناعة زرزري من العصر الميسوليتي (نهاية العصر الحجري القديم الاعلى وزمنه قبيل العصر الحجري الحديث. وانتقل عمل الاستاذ (پروس هاو) عن بعثة بريدوود الى منطقة عقرة حيث تحرى خمسة كهوف هناك.[10]

واشتغلت البعثة نفسها في موقع آخر يرجع زمنه الى عهد (ملفعات)[11] وهو موقع گرده چال. يقع هذا التل (في قرية گرده چال) على رابية ارتفاعها 12 مترا، وهي على الضفة اليسرى من الزاب الاعلى بالقرب من قرية گردملك وتقدر مساحته بنحو 60X90 مترا وإشتغلت هنا ايضا (كما في ملفعات) المس برومان في نهاية عام 1954 عن بعثة بريدوود وحفرت في اعلى التل حفرة وقطعت في المنحدر مقطعا. وتبين من هذه الحفريات ان في القسم العلوي من التل كثيرا من كسرات الفخار واكثره خشن الصنع سمج، طينته غير مصفاة، حمراء اللون، وقد يرجع تاريخه الى ادوار متأخرة لا علاقة لها بالصوان المكتشف تحت ذلك. وعثر فيما تحت الطبقة العليا كثير من ادوات الصوان المتنوعة وبينه الميكروليت. ويعتقد ان موقع گرده چال يرجع بعهده الى العصر الميسوليتي، وبناظر زمنه زمن ملفعات (انظر الهامش رقم 11)، فعصره يقع بين كريم شاهر وجرمو، بل هو اقرب الى جرمو منه الى كريم شاهر. أي ان زمن گرده چال يعود الى فترة ما بين العشرة آلاف سنة 8 آلاف سنة قبل الميلاد، الى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.[12] والجدير بالذكر ان موقع گرده چال اعلن عنه في سنة

1946، واستوطن الموقع ثانية في عصر الامبراطورية الآشورية.

ان التطورات التي عاناها انسان ما قبل التاريخ في العراق قد تكللت باهتدائه في شمالي العراق الى احدى المنجزات الحضارية الكبرى التي بدلت حياة البشرية تبدلا اساسيا، ونعني بذلك بداية الانسان في انتاج القوت بالزراعة وتدجين الحيوان، يوم ظهرت اولى القرى الزراعية الفلاحية مثل (زاويچمى ـ على الزاب الاعلى في محافظة اربيل)، وملفعات وكريم شاهر وگرده چال وجرمو وغيرها من القرى التي ظهرت فيها طلائع ذلك الانقلاب الاقتصادي الذي يقرن الباحثون اهميته بأهمية الثورة الصناعية الحديثة في الحضارة الغربية[13]. ويمثل موقع گرده چال بداية استيطان الانسان السهول الزراعية في الشمال، وكانت الزراعة في هذه الفترة تتصف بالاكتفاء الذاتي.

ونذكر اخيرا ان لفظة (گرده چال) تتكون من مقطعين: الاول: گرد، ويعني التل او الرابية، والثاني: چال، وتعنى بالكردية: الحفرة. ومن عادة الاكراد خزن الحنطة والشعير من حفر تحفر في الارض بعمق بضعة امتار، وتسمى مثل هذه الحفرة بـ چال. وقد شبه الموقع الأثري بالحفرة المذكورة. ويذكر ان كثيرا من اسماء القرى في سهل اربيل مشتقة من اسماء المواقع الاثرية او ان تلك القرى عرفت بهذه المواقع.

المصادر والهوامش

1 ـ طه باقر: جولات تاريخية بين مواطن الآثار في شمالي العراق مجلة المجمع الكردي (3-1) 1975 ص 630.

2 ـ المواقع الاثرية في العراق: مديرية الآثار العامة بغداد 1970 ص 11-13.

3 ـ ان مصطلح العصر الحجري المعدني يطلق على الفترة الزمنية المحصورة بين نهاية العصر الحجري الحديث (في حدود 5600 او 5000 ق. م وبين العصر الشبيه بالتاريخي (في حدود 3500 ق. م) ومقدارها ما بين 1500 و 2000 عام وتكون حقبة مهمة في تاريخ تطور الحضارة. وفي منتصف تلك الفترة تقريبا بدأ سكان وادي الرافدين يكتشفون استعمال المعادن. وقد تميز كل طور من اطوار هذه الحقبة بنوع من الفخار من حيث الطرز والالوان واشكال الاواني، فاتخذ ذلك من بين الاسس التي استند اليها الباحثون في تقسيم هذا العصر الى الاطوار المختلفة، واشتقت اسماؤها من اسماء المواضع الاثرية التي وجدت فيها آثارها المميزة لأول مرة وهي بحسب تسلسلها الزمني على الوجه الآتي: 1 ـ دور حسونة. 2 ـ دور حلف. 3 ـ دور سامراء او دور (حسونة ـ سامراء). 4 ـ دور العبيد. 5 ـ دور الوركاء. وقد ارتؤى ان يجعل طور الوركاء المتأخر او الاخير والدور المسمى (جمدة نصر) والدور الاول من عصر فجر السلالات (عصر ظهور الطبقات الحاكمة) دورا حضاريا متميزا اطلق عليه اسم العصر أو الشبيه بالكتابي الشبيه بالتاريخي. انظر: طه باقر: عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين: مجلة المجمع الكردي (2-2) 1974 ص 26-28.

4 ـ المواقع الاثرية في العراق ص 11-13

5 ـ المصدر السابق ص 22

6 ـ المصدر السابق ص 11-13

7 ـ المصدر السابق ص 23

8 ـ المصدر السابق ص 11-13

9 ـ فرج بصمه‌چي: العصور الحجرية في العراق: مجلة سومر م 11 ج 2 1955ص 111-114.

10 ـ المصدر السابق ص 121-124

11 ـ ملفعات: تل يقع على رابية، يطل على نهر الخازر قرب جسر الموصل ـ اربيل، في محافظة نينوى.

قامت المس برومان من بعثة بريدوود بتحري هذا الموقع. وجد فيه ادوات من الصوان (سكاكين ومقاشط)، وكثير من قطع الميكروليت (آلات ناعمة جدا من الحجر)، وعثر على ادوات حجرية كبيرة مثل مطارق ومجارش ومعازق، وزمنه قريب من زمن كريم شاهر (قرب جمجمال) (بين 10 آلاف سنة ـ 8 آلاف سنة). ولعدم وجود الفخار فقد وضع زمن ملفعات قبل جرمو (قرب جمجمال، وهو اقدم القرى من العصر الحجري الحديث ويقدر تاريخه بنحو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد).

12 ـ المصدر السابق ص 125-126

13 ـ طه باقر: عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين. مجلة المجمع الكردى (2-2) 1974 ص 25-28.